صورة للفلاح الذى نأمله

تجلى فى السنوات الأخيرة اتجاه عام إلى جميع الجهات المختصة نحو رفع مستوى معيشة الفلاح من الناحيتين الاجتماعية والصحية وإنماء الاقتصاد القومى . وللزراعة فيه نصيب أوفى . ولذلك كان من اصلاح لتحقيق هذا الهدف لابد وأن يكون محوره الفلاح فى حقله وفى بيته وفى بيئته الاجتماعية وبكل ما يتصل به حتى تتعاون الجهود التى تبذل فى كافة هذه النواحى وتؤتى ثمارها كاملة فى أقرب وقت مستطاع .

وسنحاول أن نرسم صورة تمثل الفلاح كما نرجوها لإتمام الهدف المنشود مراعين جعلها فى حدود المستطاع بل المستطاع المتواضع ومعتمدين فى ذلك على الحقائق الواقعة واللابسات الحالية حتى لا توصف هذه الصورة بأنها خيالية أو مثالية بعيدة المنال .

تتكون أسرة الفلاح المصرى الذى نريده من رجل وزوجته وأربعة أولاد يمتلكون من فدانين إلى أربعة أو خمسة أفدنة تبعاً لقيمة الأرض ودرجة خصبها وأن يكون متوسط غلة الفدان من هذه الأرض — حوالى سبعة أرادب من القمح وعشرة أرادب من الذرة الشامية وستة قناطير من القطن . ويجب أن تخصص هذه العائلة قيراطين أو ثلاثة لزراعة الخضر اللازمة لغذائها وأن تمتلك جاموستين أو ثلاثة تنتج الواحدة فى المتوسط من ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ رطل لبن فى السنة وأن تقتنى عشرة نعاج تنتج سنوياً عشرة حملان ويستطيع أن يقوم برعايتها أحد الأولاد وثلاثين فرخة تنتج الواحدة منها فى السنة نحو ١٢٠ بيضة لغذاء الأسرة وتبيع ما يفيض عن حاجتها وتقتنى أيضاً كلباً لحراستها وحراسة البيت والغنم فالكلاب من أهم وسائل استتباب الأمن فى الأرياف وأن يكون له حمار أو اثنان للركوب ونقل السماد البلدى وخلية خشبية أو خليتين من النحل تنتج الواحدة سنوياً ٤٠ أو ٥٠ رطلاً من العسل وأن يغرس الفلاح فى أرضه أربع أو ست نخلات تمده بفاكهة مغذية لذيذة فضلاً عن الانتفاع بخوصها وجريدها وتأتيه بربح لابأس به ولا تحتاج لشىء يذكر من النفقة .

ويجب أن يمتنع فلاحنا عن تشغيل ماشيته فى الأعمال الزراعية بل يقصرها على الإنتاج وأن يستعيض عنها فى أداء هذه الأعمال من حرث ودراس بآلات ميكانيكية

يستخدمها بالاشتراك مع أهل قريته على أساس النظم التعاونية . وبذلك يوفر مجهود ماشيته فى هذه الأعمال التى تنقص من إنتاجها .

أما عن المسكن فيجب أن يكون نظيفاً خالياً على الأخص من الحشرات وكذلك جسمه وجسم أولاده وحيواناته خالياً من الحشرات التى تنقل الأمراض المعدية أو تضعف من صحته . وقد صارت النظافة من هذه الآفات فى الوقت الحاضر ميسورة وقليلة الكلفة بفضل المستحضرات الكيماوية التى تبيد هذه الحشرات ويدوم مفعولها لأمد طويل مثل (د . د . ت الخ) .

ويجب أن يكون طعامه وطعام أسرته بسيطاً ولكنه متنوعاً وكافياً فى كميته وعناصره الضرورية لا للتغذية وحسب بل ولحفظ الجسم وجعله قادراً على مقاومة الأمراض . وقد وضح بصورة عامة الآن أن معظم الأمراض الوبائية التى تصيب الفلاح وتقضى عليه فى كثير من الحالات كالملاريا والحمى الراجعة إنما تفتك بالأجسام الهزيلة والبنية الضعيفة التى يورثه إياها قلة التغذية وسوءها على السواء .

ومن الواجب أن تقوم زوجته وأولادها بشغل أوقات فراغهم بأعمال نافعة تدر عليهم الخير وتوسع رزقهم وذلك بالعمل فى صناعات منزلية هينة كغزل القطن ونسجه وصناعة السجاد والأكلة والأقفاص والمكانس وتربية دودة القز ، وغير خاف أن شغل أوقاتهم بهذه الأعمال المفيدة فضلا عما يجنون من أرباح فيه صيانة لأخلاقهم وتحسين لسيرتهم وإبعادهم عن الأعمال الفاسدة أو الشريرة التى يلجأ اليها أشخاص معظمهم ممن يجدون متسعاً كبيراً من أوقات الفراغ .

والناحية الثقافية على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لفلاحنا وفيها ضمان لحسن إنتاجه وتوسيع أفقه وجعله أكثر استماعاً للارشاد والنصائح التى يبذلها له المختصون فى الشئون الزراعية والصحية والاجتماعية . ولذلك يجب أن يتعلم هو وأولاده مبادىء القراءة والكتابة والحساب والدين ، وهنا أهيب بالمتعلمين والمتعلمات أن يساهموا فى فى تعليم الفلاح وتثقيفه إن لم يكن باعتبار ذلك واجباً وطنياً أو اجتماعياً فليكن كما قال وزير المعارف منذ أسبوعين فى هذا المكان من باب التزكية عن علمهم . ويستطيع المساهمة فى هذا العمل الجليل كل طوائف المتعلمين . فيقوم الطبيب أو الطبيبة بالارشاد عن الأمراض وطرق الوقاية منها وعلاجها وعلى الزراعى واجب كبير فى زيارة الفلاحين وتعليمهم أصول الفلاحة والمعلومات الاساسية للعلوم الزراعية

فى أسلوب سهل واضح وإرشادهم إلى أحدث الأساليب الزراعية التى تكفل وفرة الإنتاج وتخفيض نفقاته وما يلزم من تجميل القرية . كما يرشدهم المهندس إلى ضرورة العناية بشئون الرى والصرف وأهميته فى زيادة الانتاج وتوقى كثير من الأمراض التى تصيب الانسان والحيوان ، وللصانع مجال عملى واسع فى تعليمهم بعض الصناعات المنزلية التى تقدمت الاشارة اليها . وللسيدات المتعلمات فى هذا الميدان مجال واسع لإمكان دخولهن المنازل والاختلاط بالفلاحات وعلمهن الاعتماد فى تنفيذ كافة الارشادات والتعليمات الخاصة بتربية الأطفال وتغذيتهم وتنظيف ملابسهم وتنظيف المنزل . وأمامنا أسوة حسنة فى الأعمال الباهرة التى قامت بها سيدات مبرة محمد على وجمعية الهلال الأحمر وكللت بنجاح ملموس فيما قمن به من مساعدات وإسعاف أثناء وباء الملاريا بالصعيد والحمى الراجعة وعرضن أنفسهن لأخطار هذه الأمراض الوبائية خدمة لأبناء وطنهن ، فكم تكون قيمة جهودهن الارشادية للفلاحين والفلاحات فى مزارعهم وضياعهم وأثرها فى ترقية شئون الفلاح .

أما كبار الملاك فى الريف فان نصيبهم من المساهمة فى الخدمة الاجتماعية للفلاح هام عظيم فى استطاعتهم أن يجعلوا البيئة التى يعيشون فيها بيئة صالحة من كافة الوجوه وتجعل الاقامة فى بلاد الريف محببة اليهم وإلى ذويهم بدلا مما هى عليه الحال الآن من الرغبة عن سكنى الريف وعدم الذهاب اليه إلا عند الضرورة التى لا مفر منها . وفى ذلك خدمة لأنفسهم قبل غيرهم إذ أن وجود الملاك فى مزارعهم وضياعهم عامل هام فى زيادة الإنتاج وتحسينه وتقليل نفقاته . يستطيع الأغنياء المساهمة بنصيب وافر فى تجميل الريف وإنشاء نواد للالعاب الرياضية ولاجتماع أهالى القرى ومنح جوائز للمتفوقين من الفلاحين فى الانتاج كماً ونوعاً ودعوة الوعاظ والأدباء فى المواسم المختلفة لتثقيف الفلاحين وتكليف الأطباء نظير أجر معين يدفعونه لهم بزيارة القرية مرتين أو ثلاثة فى الشهر لعيادة المرضى منهم وما إلى ذلك من أوجه المساعدة التى يستطيعونها فى حدود قدرتهم المالية ونفوذهم الأدبى . وفوق هذا وذاك فان مساهمة الأغنياء فى الإصلاح الاجتماعى على النحو الذى أشرنا إلى بعض مظاهره والإكثار من إقامتهم فى مزارعهم وضياعهم يكون عاملا من عوامل استتباب الامن لأنهم يستطيعون وقد ملكوا قلوب الفلاحين بما يبذلون من جهود لإصلاح حالهم ورفع مستوى معيشتهم أن يفضوا كثيراً من المنازعات والخصومات التى تحدث كثيراً

بين أهالى القرى ويترتب عليها كثيراً من الجنايات التى لا تنقطع فى بلاد الريف فيحل محلها التراضى والمودة ويرفرف السلام على الجميع .

لا شك أن عبء القيام بمشروعات الإصلاح لرفع مستوى معيشة الفلاح وإنماء الاقتصاد القومي يقوم معظمه على كاهل الحكومة وعمالها ولكن مساهمة أفراد الأمة المتعلمين والمتعلمات على النحو الذى أشرنا إلى أمثلة منه فيما تقدم لا تخفف بعض الشىء عن كاهل الحكومة وحسب ولكنها تسرع خطوات الإصلاح كثيراً وتعد أذهان الفلاحين للنصائح والارشادات التى تأتيهم على يد موظفى الحكومة بفضل هذه الجهود التى يبذلها متطوعون لا يسألون عنها أجراً ولا شكراً فيكون فى ذلك باعث للفلاحين على أن يتقبلوها منهم قبولا حسناً ويعملون بها ويساعدون موظفى الحكومة على تنفيذ واجباتهم نحو هذه المشروعات بدلا من إقامة العراقيل فى سبيلها نتيجة لإساءة الظن برجال الحكم والتشكك فى كل ما يأتى عن طريقهم وهي حالة نفسية توارثها الفلاحون جيلاً عن جيل وتولدت فى نفوسهم من آثار العهود المظلمة القديمة وتعاون المتعلمين مع رجال الحكومة كفيل بازالتها .

وفقنا الله لتحقيق الآمال فى ظل مولانا جلالة الملك فاروق الأول الذى اختار لنفسه أن يكون الفلاح الأول والمصلح الأول حفظه الله وأدام ملكه وأيده برعايته وتوفيقه . . .

محمود توفيق هنداوى
مستشار فنى وزارة الزراعة